الدرس السادس والثلاثون: وقاية النفس والأهل من النار

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة سعيد بن المسيب هذا التابعى الجليل والتى وردت في كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء يقول: عن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدنى أياما فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت:توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة، فقال: أنا، فقلت: أو تفعل؟ قال: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال: ثلاثة - قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلى وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر. كان خبزا وزيتا فإذا بآت يقرع، فقلت: من هذا؟ قال:سعيد، قال: فتفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت فخرجت فإذا بسعيد بن المسيب فظنت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ قال: لأنت أحق أن تؤتى، قال: قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلا عزبًا فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت الباب، ثم قدمتها إلى القصعة التى فيها الزيت والخبز، فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت إلى السطح، فرميت الجيران، فجاءوني فقالوا: ماشأنك؟ قلت: ويحكم! زوجني سعيد بن المسيب اليوم وقد جاء عليَّ غفلة، فقالوا: سعيد ابن المسيب زوجك؟ قلت: نعم، وها هي في الدار، قال: فنزلوا هم إليها وبلغ أمي

فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها لك ثلاثة أيام، قال: فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها فإذا هي من أجل الناس، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعرفهم بحق الزوج قال: فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان، قلت: خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شيء، فالعصا فانصرفت إلى منزلي، فوجه إليَّ بعشرين ألف درهم، قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان - أي أمير المؤمنين - لابنه الوليد بن عبد الملك حين كتب العهد لابنه - فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** [التحريم:6].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ☻ أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:**"كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"**[1].

معاشر الإخوة، فيما يلي قبس من الهدي النبوي لوقاية الأهل والنفس:

1 - أن يأمر أهل بيته بالصلاة، قال تعالى:**{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)}** [طه: 132].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : **"مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ**

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 2278، و(م) 1829.

عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ - [1].

2 - أن يوفر لأهل بيته الطعام الطيب محتسبا الأجر عند الله، فَعَنِ ابْنِ عَمْرٍو ☻ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ -[2].

3 - أن يعتني بتوجيه أولاده للسوك الحسن، فَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ☻ قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"يَا غُلَامُ سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ -[3].

4 - أن يهتم بتعليم أولاده القرآن الكريم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:"يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً - [4].

5 - أن يهتم بإيقاظ أهله لصلاة الليل، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ☻ قَالاَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ - [5].

6 - أن يأمر أهله بارتداء الحجاب الشرعي، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ☻ ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:"ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخُبْثَ -[6].

7 - أن يوجه أهله لكل خصال الخير، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ☺ قَالَ:

(1) (حسن) أخرجه (د) وحسنه الألباني في مش 572.
(2) (حسن) أخرجه (حم د ك هق) وحسنه الألباني في ص.ج 4481.
(3) (صحيح) أخرجه (خ) 5061، و(م) 2022.
(4) (صحيح) أخرجه (ت ك) وصححه الألباني في ص.ج 8030.
(5) (صحيح) أخرجه (د ك) وصححه الألباني في ص.ج 6030.
(6) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في ص.ج 3052.

قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"**إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ** -[1].

8 – أن يعتني بدوام ذكر الله في بيته، فَعَنْ أَبِي مُوسَى ☺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ** -[2].

9 - أن يحث أهله لقراءة القرآن في البيت، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"**اقرؤوا سورة البقرة في بيوتكم فإن الشيطان لا يدخل بيتا يقرأ فيه سورة البقرة** -[3].

10 - أن يحث أولاده على صلة الرحم، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"**صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ** - [4].

11 - أن يحث أولاده على مرافقة الصالحين، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:"**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** - [5].

12 - أن يعلم أهله كيف يكون التصرف عند مرض أحد أفراد الأسرة وذلك بثلاثة أشياء، بالدعاء، ثم بالصدقة، ثم بالأخذ بالأسباب مع التيقن على رب الأسباب وعدم التيقن على الأسباب ثم يذهب للطبيب قال تعالى:{**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)**} [الشعراء:80]، وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ☺ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم :"**دَاوُوا مَرْضَاكُم بِالصَدَقَةِ** -[6].

13 - أن يأمر نساء بيته بالتحجب وعدم العري والتبرج عملا بقول الله تعالى:{**وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**} [الأحزاب 33]، والتبرج يكون بعدة أمور: إما بخلع الحجاب، وإظهار المرأة شيئاً من بدنها أمام الرجال

(1) (صحيح)أخرجه (البزار) وصححه الألباني في ص.ج 3399.
(2) (صحيح) أخرجه (ق) وصححه الألباني في ص.ج 5827.
(3) (صحيح) أخرجه (ك هب) وصححه الألباني في ص.ج 1170.
(4) (صحيح)أخرجه (حم هب) وصححه الألباني في ص.ج 3767.
(5) (صحيح) أخرجه (د ت) وصححه الألباني في ص.ج 3545.
(6) (حسن) أخرجه (أبو الشيخ في الثواب) وحسنه الألباني في ص.ج 3358.

الأجانب عنها، أو تبدي المرأة شيئاً من زينتها المكتسبة، أو بتثنّى المرأة في مشيتها وتبخترها وتكسّرها أمام الرجال، أو بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام، أو بالاختلاط بالرجال وملامسة أبدانهن أبدان الرجال، بالمصافحة والتزاحم في المراكب والممرات الضيقة ونحوها، فينبغي على ولي الأمر أن يقي نسائه من كل هذه المحاذير.

14 - أن يمنع نساءه من الخلوة والسفر بغير محرم أو أن يدخل عليهم رجل وليس معهم محرم، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ☻ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : **لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ** [1]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: **لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا** [2].

15 - أن يختار الأب لابنته صاحب الدين والخلق ولا يغفل عن التكافئ الاجتماعي والثقافي، فإن صاحب الدين والخلق إن عاش معها أكرمها وإن لم يكتب لهما دوام العشرة لم يظلمها، ويحذر من تكليف الزوج النفقات الباهظة فلا بد من التيسير على الشياب، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**"إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ** -[3].

16 - أن يوصي الأب ابنه بما أوصي به رسول الله بأن يتزوج ذات الدين فإن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه دأب الصالحين وهو وقاية من المعاصي كأن يعوده صيام يومي الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:**"تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ** - [4].

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 4935.
(2) (صحيح) أخرجه (م) 1339.
(3) (حسن) أخرجه (ت ه ك) وصححه الألباني في ص.ج 270.
(4) (صحيح) أخرجه (ق د ن ه) وصححه الألباني في ص.ج 3003.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *